دور الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة الفرق المنحرفة على ضوء القرآن الكريم والأدعية

الباحث
حسين الساعدي
جامعة أمير المؤمنين ـ الأهواز
ati.abiat@yahoo.com

المقدمة:

انتشرت في عصر الإمام السجاد عليه السلام الكثير من الفرق والتيارات والمذاهب والنحل المنحرفة والضالة، وقد تصدى الإمام زين العابدين لها من خلال بيان منهج أهل البيت المستقيم، وتوضح انحرافات بعض الفرق والمذاهب التي قامت على أسس مخالفة لخط الإسلام الأصيل.

قد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام كآبائه الكرام - بشكل ملفت للنظر - بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوةً، وتدبّراً، وتفسيراً، وتعليماً، وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أنّ الإمام عليه السلام كان هو القرآن الناطق والتجسيد الحيّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وقد اعتمد الإمام السجاد في التصدي للتيارات والفرق المنحرفة على مناظرتهم ومحاورتهم بالأساليب العلمية القوية والقرآن والأدعية التي ينهزم أمامهم أصحب الفكر السقيم، ويعود بعضهم إلى الحق، كما اتبع الإمام الإمام السجاد عليه السلام الاقناع بأدوات العقل والبديهة، وهو الأمر الذي لا سبيل لإنكاره من قبل أصحاب الأفكار المنحرفة.

حياة الإمام السجاد عليه السلام:

ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبوية الشريفة في شهر شعبان، واختلف المؤرخون في يوم ولادته ومكانها، فبعضهم قال: إنّه ولد في الكوفة، فيما قال آخرون إن ولادته كانت في يثرب[1].

وقد عُرف بين المؤرخين والمحدّثين بابن الخيرتين؛ لاَنّ أباه هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه من بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحروب وعُرض عليها

الزواج فاختارت الإمام الحسين عليه السلام فتزوجها تكريماً لها.

وجاء في (ربيع الأَبرار) للزمخشري: أنّ الله في عباده خيرتان: فخيرته من العرب بنو هاشم، وخيرته من العجم فارس[٢]، وفي ذلك قال أبو الأَسود الدؤلي:

وإنّ وليداً بين كسرى وهاشمٍ ... لأكرمُ من نيطت عليه التمائمُ

ستمرت إمامته أربعةً وثلاثين سنة، عاصر فيها مُلك يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، وتوفي مسموماً ـ حسب أكثر الروايات التاريخية ـ في عهد الوليد بن عبدالملك بن مروان[٣]، وذلك في النصف الأَول من شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل قبل ذلك أو بعده بقليل...

عاش حوالي سبعاً وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله، واستقى علومه من هذه المصادر الطاهرة.

برز على الصعيد العلمي والديني، إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى حتى سلّم المسلمون جميعاً في عصره بأنّه أفقه أهل زمانه وأورعهم وأتقاهم فقال الزهري، وهو من معاصريه: ((ما رأيتُ قرشياً أفضل منه))، وقال سعيد بن المسيّب وهو من معاصريه أيضاً: ((ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين))، وقال الإمام مالك: ((سمي زين العابدين لكثرة عبادته))، وقال سفيان بن عيينة ((ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه))، وعدّه الشافعي أنّه: ((أفقه أهل المدينة)).

وقد اعترف بهذه الحقيقة حكام عصره من بني أمية أنفسهم، رغم ما بينه وبينهم من عداوة وخصومة، فقال له عبدالملك بن مروان يوماً: ((لقد أوتيت من العلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك قبلك إلاّ من مضى من سلفك))، ووصفه عمر بن عبدالعزيز بأنّه: ((سراج الدنيا وجمال الاِسلام))[٤].

وحين اصطدم عبدالملك بن مروان بملك الروم وتماحكا حول مسألة النقود، لم يجد الأَول مفزعاً ومُعيناً إلاّ الإمام زين العابدين عليه السلام، فهرع إليه يستعينه على إنقاذ المسلمين من ورطتهم، فوضع له الإمام أُطروحة متكاملة للنقد الاِسلامي، وأنقذ المسلمين من إذلال

الروم، ولعلّ آثار هذه الأُطروحة والعمل بالنقد ما زالت لحدّ اليوم[٥].

من أشهر ألقابه: زين العابدين، والسجاد، وذو الثفنات، والبكّاء، والعابد، وأشهرها الأَول...

جاء في المرويات عن محمد بن شهاب الزهري أنّه كان يقول: ((يقوم يوم القيامة منادٍ ينادي: ليقم سيد العابدين في زمانه، فيقوم علي ابن الحسين)).

وجاء في (تذكرة الخواص) لابن الجوزي، أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي سماه بهذا الاسم[٦]، وكذلك حسب الروايات الشيعية في تسمية النبي صلى الله عليه وآله لأَئمة أهل البيت الاثني عشر المعروفين عليهم السلام.

وجاء في تسميته بذي الثفنات، أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: ((كان لابي في موضع سجوده آثار ثابتة وكان يقطعها في كلّ سنة من طول سجوده وكثرته...))[٦].

ويروي الرواة عن سبب تسميته (البكّاء) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: ((بكى جدي علي بن الحسين عليه السلام على أبيه عشرين سنة، ما وضع خلالها بين يديه طعام أو ماء إلاّ بكى، فقال له أحد مواليه يوماً: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، فقال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم ما لا تعلمون....

وقال له مولىً آخر في يوم آخر: ((أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلّ؟ فقال عليه السلام: ويحك، إنّ يعقوب النبي كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه عليه من كثرة البكاء واحدودب ظهره وأنا نظرتُ إلى أبي وإخوتي وعمومتي وسبعة عشر شاباً من بني عمومتي مجزرين أمامي كالاضاحي ونظرت إلى عمّاتي وأخواتي هائمات في البراري وقد أحاط بهنّ أهل الكوفة وهنّ يستغثن ويندبن قتلاهن)).

وجاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: ((البكاؤون خمسة آدم ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين)).

وتحدّث المؤرخون عن بكائه عليه السلام الكثير الكثير، حتى قيل أنّه ما رأى جزاراً يذبح شاة حتى يدنو منه ويسأله هل سقاها ماءً وحين يقال له نعم، يبكي ويقول: ((لقد ذُبح أبو عبدالله عطشاناً)).

وما يجيئه ضيفٌ ويسأله عن ميّت له، هل غسّله وكفّنه؟ ويكون الجواب، نعم هذا واجب يا ابن رسول الله، حتى يبكي ويقول: ((لقد قُتل والدي غريباً وبقي ثلاثة أيام تصهره الشمس بلا غُسل ولا كفن...)).

وهكذا حتى كاد يفجّر ببكائه وأسئلته وتعليقاته تلك، كل معاني الغضب المقدّس في نفوس الاَحرار والثوار ويستنهضهم بشكل مباشر أو غير مباشر للثورة على الظلم والظالمين، والتمرّد على أعداء الدين الذين يستبيحون الحرمات، ويهتكون المقدّسات، ويستهترون بالقيم والمبادىء والحدود...[٨].

استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام:

وتقلّد الوليد أزمّة الملك بعد أبيه عبد الملك بن مروان، وقد وصفه المسعودي بأنّه كان جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً[٩]، حتّى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكومته، فقال فيه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جوراً[١٠].

وفي عهد هذا الطاغية الجبّار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي أعتى عامل أموي.

وقد كان الوليد من أحقد الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام لأنّه كان يرى أنّه لا يتمّ له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين عليه السلام.

فقد كان الإمام عليه السلام يتمتّع بشعبية كبيرة، حتّى تحدّث الناس بإعجاب وإكبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعجّت الأندية بالتحدّث عن صبره وسائر ملكاته، واحتلّ مكاناً كبيراً في قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرّف بمقابلته والاستماع إلى حديثه، وقد شقّ على الأمويين عامّة هذا الموقع المتميّز للإمام عليه السلام وأقضّ مضاجعهم، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك الذي كان يحلم بحكومة المسلمين وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

وروى الزهري: عن الوليد أنّه قال: لا راحة لي وعليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا.

فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام حينما آل إليه الملك، فبعث سمّاً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّه للإمام عليه السلام ونفّذ عامله ذلك، فسَمَتْ روح الإمام

العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعباداتها وجهادها وتجرّدها من الهوى.

وقام الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه، وبعد تشييع حافل لم تشهد يثرب نظيراً له؛ وجيء بجثمانه الطاهر إلى بقيع الفرقد، فحفروا قبراً بجوار قبر عمّه الزكيّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله - وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جثمان أبيه زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام فواراه في مقرّه الأخير(١١).

ملامح عصر الإمام السجاد عليه السلام:

إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد عاش أقسى فترة من الفترات التي مرّت على القادة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، لأنّه عاصر قمّة الإنحراف الذي بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وذلك أنّ الانحراف في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام قد أخذ شكلاً صريحاً، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحة أيضاً من قبل الحكّام في مجال العمل والتنفيذ، وانكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ولم يبق ما يستر عورة حكمهم أمام الأمة التي خبرت واقعهم وحقيقتهم المزرية.

وقد عاصر الإمام عليه السلام كلّ المحن والبلايا التي وقعت أيّام جدّه أمير المؤمنين علىّ عليه السلام إذ ولد قبل استشهاد الإمام علىّ عليه السلام وتفتحت عيناه وجَدّه عليه السلام في محنته في خط الجهاد مع الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن عليه السلام في محنته مع معاوية وعُمّاله وعملائه، ومع أبيه الحسين عليه السلام وهو في محنته الفاجعة إلى أن استقلّ بالمحنة وجهاً لوجه، وقد وصلت به المحنة ذروتها عندما رأى جيوش بني أمية تدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة وتربط خيولها في المسجد، هذا المسجد الذي كان منطلقاً للرسالة وأفكارها إلى العالم أجمع، وقد أصاب هذا المسجد في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام كثير من الذلّ والهوان على يد الجيش الأموي الذي أباح المدينة والمسجد معاً، وهتك حرمات النبي صلى الله عليه وآله فيهما جميعاً(١٢).

النضال الفكري والعلمي:

من المعلوم أنّ الفكر السليم هو أحد مقوّمات كلّ حركة سياسية صحيحة، فتثقيف

الجماهير وتوعيتها لتكون على علم بما يجري عليها وحواليها وما يجب لها وعليها من حقوق وواجبات هو الركيزة الأولى لِصدّ الأنظمة الحاكمة الفاسدة التي تسعى على طول التأريخ في إبعاد الناس عن الحقّ والتعاليم الأصيلة.

وقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بأداء دور مهمّ في هذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوي لرواية الحديث فأمر برواية الحديث وحثّ على ذلك، وكان يطبّق السنّة ويدعو إلى تطبيقها والعمل بها، وقد روي عنه قوله عليه السلام: إنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة وإن قلّ[١٣]. وفي الظروف التي عاشها الإمام عليه السلام - حيث كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره وأصوله والذي تمثّل في حفظة القرآن ومفسّريه - كانت الدعوة إلى الاعتصام بالقرآن من أهم الواجبات آنذاك، ولقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهد وافر في هذا المجال.

قال عليه السلام: (عليك بالقرآن، فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: إقرأ وارق، ومن دخل الجنّة لم يكن في الجنّة أعلى درجة منه، ما خلا النبيّين والصدّيقين)[٣]. وكان يقول: (لو مات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)[١٤].

كما كان يسعى في تمجيد القرآن عملياً وبأشكال مختلفة، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن(٥)، كما كان يرشد الأمة من خلال تفسيره للقرآن الكريم[١٥].

وبذل الإمام عليه السلام جهوداً جبّارةً لتثبيت قواعد التوحيد الإلهي وتشييد أركانه عبر الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السليمين، والردّ على الأفكار المنحرفة التي غذّاها الحكّام ـ مثل فكرة الجبر الإلهي ـ بهدف التمكّن من السلطة والسيطرة التامة على مصير الناس والهيمنة على الأفكار بعد السيطرة على الأفواه والأجسام، وقد ذكرنا أنّ الإمام عليه السلام قال لابن زياد الذي أراد أن ينسب قتل عليّ بن الحسين إلى الله: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)، فالإمام تحدّى الحاكم في مجلسه حين ردّ على الانحراف العقائدي بتلك الصراحة، وبيّن الفرق بين التوفّي للأنفس واسترجاعها ـ الذي نسبه القرآن إلى الله تعالى حين حلول الأجل والموت حتف الأنف ـ وبين القتل الذي هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المذكور.

وفي جوابه عليه السلام عن سؤال: أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ قال عليه السلام: (إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد... ولله فيه العون لعباده الصالحين)، ثمّ قال عليه السلام: (ألا من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدي جوراً)(١٦).

وهكذا تصدّى الإمام عليه السلام لعقيدة التشبيه والتجسيم، وفكرة الإرجاء(١٧).

وعلى صعيد الإمامة والولاية أعلن الإمام عليه السلام عن إمامته بنفسه بكلّ وضوح وصراحة ومن دون أيّة تقيّة أو سريّة، وقد تعدّدت الأحاديث المصرّحة بهذا الإعلان، منها قوله عليه السلام: (نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغرّ المحجّلين وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء... ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها، ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله)(١٨).

وقال أبو المنهال نصر بن أوس الطائي: قال لي عليّ بن الحسين عليه السلام: (إلى مَن يذهب الناس؟) قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا، قال: (قل لهم يجيئون إليّ)(١٩).

وقال له أبو خالد الكابلي: يا مولاي، أخبرني كم يكون الأئمّة بعدك؟ قال: (ثمانية لأنّ الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي...)(٢٠).

والانحراف الذي حصل عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم ينحصر في إقصائهم عن الحكم والولاية فقط، بل انتهى إلى الجهل بأحكام الشريعة التي كان الأئمّة هم المرجع الواقعي والصحيح للتعرّف عليها.

فالإمام ليس وليّاً للأمر وحاكماً على البلاد والعباد فحسب، وإنّما هو مصدر يرجع إليه لفهم الشريعة وتبيين أحكامها، باعتبار معرفته التامة بالشريعة الخاتمة وارتباطه الوثيق بمصادرها الحقيقيّة.

وكما أقصى الحكّام أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن الحكم والولاية؛ حاولوا كذلك نفي مرجعيتهم الدينية والعلميّة وإبعاد الناس عنهم، لذلك اهتمّ الأئمّة وأتباعهم بإرشاد الناس إلى هذا المعين الصافي للشريعة الإسلامية كي ينهلوا منه، وكان اهتمام الإمام السجاد عليه السلام

بليغاً بهذا الأمر حتى قال عليه السلام لرجل شاجره في مسألة شرعية فقهية: (يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحدٌ أعلم بالسنّة منّا)[٢١].

وقال عليه السلام: (إنّ دين الله لا يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يُصاب إلاّ بالتسليم، فمن سلّم لنا سَلِم، ومن اقتدى بنا هُدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه - ممّا نقوله أو نقضي به - حَرَجاً كفر بالّذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم)[٢٢].

النضال الاجتماعي والعملي:

إنّ أهّم أهداف القادة الإلهيّين هو إصلاح المجتمع البشريّ بتربيته على التعاليم الإلهية، ولابدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ والمضني في هذا الطريق الشائك، فعليه:

١- أن يربّي جيلاً من المؤمنين على التعاليم الحقّة التي جاء بها الدين والأخلاق القيّمة التي ينبغي التخلّق بها، لكي يكونوا له أعواناً على الخير.

٢- أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله.

٣- أن يقاوم الفساد الذي يبثّه الظالمون في المجتمع بهدف شلّ قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحقّ والخير.

كان للإمام عليه السلام نشاط واسع في كلّ هذه المجالات، بحيث يعدّ - بحقٍّ - في صدر قائمة المصلحين الإلهيين بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاة بني أمية على الأمة وعلى مقدّراتها وجسم الخلافة الإسلامية التي تقتل من يعارضها وتهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام.

ويمكن الحديث عن أوجه نشاطه عليه السلام العملي في الجانب الاجتماعي على عدّة أوجه منها:

أ. الأخلاق والتربية (على مستوى الأمة وأتباع أهل البيت عليهم السلام):

ضرب الإمام زين العابدين عليه السلام أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصة وفي سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات.

فكانت تتبلور فيه شخصية القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابلية العلمية

الراقية، والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وأناة وهدوء.

فالصبر الذي تحلّى به وتجلّى لنا من خلال ما تحمّله في مأساة كربلاء أكبر شاهد على عظمة صبره.

ومثابرته ومداومته على العمل الإسلامي بارزة للعيان، وهذا الفصل يمثّل جزءاً من نشاطه السياسي والاجتماعي الجادّ.

وحديث مواساته للإخوان والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام بالبذل والعطاء والإنفاق ممّا اشتهر عند الخاصّ والعامّ.

وحُنوّه وحنانه على العبيد وعلى الأقارب والأباعد بل على أعدائه وخصومه ممّا سارت به الركبان.

وأخبار عبادته وخوفه من الله جلّ جلاله وإعلانه ذلك في كلّ مناسبة ملأت الصحف حتى خصّ بلقب (زين العابدين) و(سيّد الساجدين).

ب. الإصلاح والدولة:

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أنّ الأئمّة من أبناء الحسين عليهم السلام قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة، وانصرفوا إلى الإرشاد والعبادة والانقطاع إلى الدنيا. ويدلّلون على قولهم هذا بتأريخ حياة الإمام السجاد عليه السلام ودعوى انعزاله عن الحياة الإسلامية العامة، ويبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئة لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمّة بعد الحسين عليه السلام على عمل مسلّح ضد الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسي من القيادة معنىً ضيّقاً لا ينطبق إلاّ على عمل مسلّح من هذا القبيل.

إنّ ما يقال من أنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام من أبناء الحسين عليه السلام اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذّبه وينفيه واقع حياة الأئمّة الزاخرة كلّها بالشواهد على ايجابية المشاركة الفعّالة التي كانوا يمارسونها.فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين عليه السلام بالأمة والزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق والتي كان يتمتّع بها على طول الخط؛ فإنّ هذه الزعامة لم يكن ليحصل عليها الإمام عليه السلام صدفةً أو على أساس مجرّد الانتساب إلى

الرسول صلى الله عليه وآله، بل على أساس العطاء والدور الايجابي الذي كان يمارسه الإمام في الأمة بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإنّ الأمة لا تمنح ـ على الأغلب ـ الزعامة مجاناً، ولا يمتلك الفرد قيادتها ويحتلّ قلوبها بدون عطاء سخيّ منه تستشعره الأمة في مختلف مجالاتها، وتستفيد منه في حلّ مشكلاتها والحفاظ على رسالتها.

ومع أنّ مزاولات الإمام عليه السلام الدينية كلّها من صميم العمل السياسي وخاصّةً في عصره حيث لم يُسمع نغمُ الفصل بين السياسة والدين بعد، نجد في طيّات حياة الإمام عليه السلام عيّنات واضحة من التدخّلات السياسية الصريحة، فهو كما يبدو من النصوص الصادرة عنه تجده رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، يدخل محاورات حادّة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطيرة ضد الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمة وإليك بعض النماذج على ذلك:

١- قال عبد الله بن الحسن بن الحسن: كان عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كلّ ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخّر مسجد النبي صلى الله عليه وآله بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكروا جور من جار من بني أمية والمقام معهم، فقال عروة لعليّ: يا عليّ، إنّ من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رُجي له أن يسلم ممّا أصابهم.

قال: فخرج عروة، فسكن العقيق.

قال عبد الله بن الحسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة(٢٣).

أمّا الإمام عليه السلام فلم يخرج، بل آثر البقاء في المدينة طوال حياته؛ لأنّه كان يعدّ مثل هذا الخروج فراراً من الزحف السياسي وإخلاءً للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون. ولعلّ اقتراح عروة بن الزبير - وهو من أعداء أهل البيت عليهم السلام - كان تدبيراً سياسياً منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام عليه السلام عن الحضور في الساحة السياسية والاجتماعية، لكنّه عليه السلام لم يخرج وظلّ يواصل مسيرته الجهادية(٢٤).

٢- قال عليه السلام: (إنّ للحق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشرّ دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة

على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدّة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، فنعوذ بالله من تلك الدول ومن الحياة في النقمات).

وإذا كانت الدولة في اللسان العربي هي الغلبة والاستيلاء - وهي من أبرز مقومات السلطة الحاكمة - فإنّ الإمام عليه السلام يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية والطبيعية التي يهتمّ بها ويفكّر في إصلاحها.

فمن يا ترى؟ ومن هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره عليه السلام؟ وهل التعوّذ بالله تعالى من دولة السلطان يعني أمراً غير رفض وجوده والتنديد بسلطته؟ وهل يتصوّر السياسي أن يكون له حضور أقوى من هذا في مثل ظروف الإمام عليه السلام وموقعه وضمن تخطيطه الشامل في قيادة حركيّة الإسلام؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادُّعي أنّه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟[٢٥].

ج. مقاومة الفساد:

وإذا كان من أهم واجبات المصلح وخاصةً المصلح الإلهي مقاومة الفساد ومحاربة المفسدين في الأرض؛ فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قام بدور بارز في أداء هذا الواجب.

وقد تميّز عصره عليه السلام بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من العصور، إلاّ أنّ بروزها في عصره كان واضحاً ومكثّفاً، كما أنّ الإمام عليه السلام قام بمعالجتها بأسلوبه الخاصّ، ممّا أعطاها صبغة فريدة تميّزت في جهاد الإمام عليه السلام وأهمها مشكلة الفقر العام ومشكلة الرقّ والعبيد[٢٦].

مواجهة الفرق المنحرفة استناداً بالقرآن والأدعية:

إن الفرق المنحرفه ليس بإمكانهم الوصول إلى مآربهم إذا لم يجدوا أعواناً لهم يعينونهم على ما يقومون به من مظالم ومآثم ولعلّ من السذاجة بمكان إلقاء اللوم على عاتق شخص واحد توضع على مشجبه أو شماعته كل الجرائم والجنايات التي ترتكب بحق الأُمم والشعوب، وإغضاء الطرف عن الدائرة المحيطة به، الملتفة حوله، بدءاً بولاته وقادته العسكريين، مروراً بإعلاميه وأبواقه وفقهائه ووعاظ سلطته، وانتهاءً بهذا المطرب أو ذاك

الشاعر اللذين لا ينفكان ينشدان لنظامه الظالم ويروّجان له ويخففان جرائمه ويأخذان على أيدي من يحاول التعريض به أو الحديث عن جرائمه...

ولعلّ الزيارة الشهيرة المعروفة بزيارة ((عرفة)) الخاصّة بالإمام الحسين عليه السلام التي جاء نصّها: ((... فلعن الله أمةً قتلتك، ولعن الله أمةً ظلمتك، ولعن الله أمةً سمعت بذلك فرضت به..)) تعبّر بشكل واضح وصريح عن هذه النقطة المهمة، أي على ضرورة تحميل الأُمّة مسؤولية حرب الحسين عليه السلام ومناهضته وتكثير سواد خصومه.

هذا الخيط الرابط بين الفرق المنحرفة وبين أعوانهم، استطاع الإمام السجاد عليه السلام تشخيصه بدقّة، وتأكيده والطرق عليه أي إن موالاة الجائر تعتبر كبيرة من الكبائر لما تنطوي عليه من تمكين واضح له لدرس الحق وإحياء الباطل وإظهار الظلم والجور، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد وتبديل السُنّة وتغيير شرائع الله وتعاليم دينه..

فكانت الخطوة الثانية هي: تنبيه الأمّة على أنّ أيّ تعامل مع الفرق المنحرفة وأية مساعدة لهم، حتّى في أبسط الأمور وأدنى الأشياء يعتبر تقويةً لمؤامراتهم، ومشاركةً لهم في جناياتهم لأنّ تقديم أيّ خدمةٍ لهم وإن كانت ضئيلة جداً يكون - بقدره - تمكيناً ومعاضدةً لهم، فراح عليه السلام يؤكد على لعن (من لاق لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصاً)، بل حرّم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم[٢٧]. اعتمد الإمام السجاد عليه السلام هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة مهمة في مقاومة الفرق المنحرفة،وكان الإمام السجاد كثيراً ما يقول: ((العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة))[٢٨].

وكان عليه السلام يحذّر الناس من التورّط في افكار الفرق المنحرفة، ولو بتكثير سوادهم والتواجد في مجالسهم ومصاحبتهم، لأنّ المنحرف لايريد من الصالح فعلاً الاستفادة من صلاحه أو الاقتداء به، وإنّما يحاول توريطه في جرائمه وآثامه أو توظيفه لتحقيق مفاسده ومشاريعه فكان عليه السلام يقول ((... ولا يقول رجل في رجل من الخير مالا يعلم، إلاّ أوشك أن يقول فيه من الشرّ مالا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله إلاّ أوشك أن يتفرّقا على غير طاعة الله...))[٢٩].

احتجاج واجوبة الإمام السجاد عليه السلام:

أ. احتجاجه.

إن من وظائف الإمامة إدلاء الحجج والبراهين القويمة على الحقائق الناصعة تثبيتاً للعقائد وإقامة للبرهنة الصادقة على المعارف الأهلية وتدعيماً للحق الجلي ودحض الأباطيل واكتساح الشبه وقمع جذور التشكيك وقلع بذوره حتى لا تربك بهرجة الباطل وزبرجة التحوير ضعفاء الأمة فتوقعهم في مساقط الجهل وتتلاعب بهم الأهواء المردية وكل واحد من أئمة الهدى جاء من هذا النوع بالشيء الكثير اقتضته ظروفه والإمام السجاد عليه السلام مع احتفافه بسياسة قاسية وسيوف بني أمية تقطر من دمائهم الزاكية جاء عنه بما فيه بلغة المسترشد وهداية المتعنت بأوضح بيان وأجلى برهان، ومن احتجاجه على خصومه:

١- شاجره رجل في مسألة من الفقه فقال له لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرائيل في رحالنا أيكون أحد أعلم بالسنة منا[٣٠].

٢- سأله رجل عما فضلوا به على الناس وسادوهم فقال عليه السلام الناس كلهم لا يخلون من ثلاث رجل أسلم على يد جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مولانا ونحن سادته وإلينا يرجع بالولاء ورجل قاتلنا فقتلناه ومضى إلى النار ورجل أخذنا منه الجزية عن يد وهو صاغر ولا رابع لهم فأي فضل لم نحزه وشرف لم نختص به[٣١].

٣- مر عليه السلام على الحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى فقال عليه السلام يا هذا أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى إذا نزل بك الموت قال لا فقال عليه السلام أفتحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها فأطرق الحسن البصري ملياً ثم قال إني أقول ذلك بلا حقيقة فقال عليه السلام أفترجو نبياً بعد محمد صلى الله عليه وآله تكون لك معه سابقة قال لا فقال عليه السلام أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها قال لا فقال عليه السلام أرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا إنك على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ولا ترجو نبياً بعد محمد صلى الله عليه وآله ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها وتعمل فيها وأنت تعظ

الناس ثم انصرف عليه السلام عنه فسأل الحسن البصري عنه قيل له أنه علي بن الحسين فقال هو من أهل بيت علم وارتفع عن الوعظ(٣٢).

٤- روى علي بن هاشم بن البريد عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام مسائل فأجابه عنها ثم عاد يسأل مثلها فقال عليه السلام له مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعلموا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله بعداً(٣٣).

٥- روى أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن عباد البصري لقي علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له يا علي تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه وقد قال الله عزّ وجل: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) فقال له علي بن الحسين أتم الآية فقال (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) فقال علي بن الحسين عليه السلام إذا رأيت هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج(٣٤).

٦- روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام إن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن الصمد فقال: الصمد الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء والذي لا جوف له والذي قد انتهى سؤدده والذي لا يأكل ولا يشرب والذي لا ينام والذي لم يزل ولا يزال وروى عاصم بن حميد أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن التوحيد فقال أن الله عزوجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله قل هو الله أحد والآيات من سورة الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك(٣٥).

٧- روى العياشي أن رجلاً جاء إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له أنت علي بن الحسين قال نعم فقال أبوك الذي قتل المؤمنين قال عليه السلام ويلك كيف قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين قال الرجل بقوله إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم قال عليه السلام ويلك

أما قرأت قول الله: (وإلى مدين أخاهم شعيباً وإلى ثمود أخاهم صالحاً فكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم فقال الرجل إنهم إخوانهم في عشيرتهم) قال عليه السلام هؤلاء كانوا إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم فقال الرجل لقد فرجت عني فرج الله عنك[٣٦].

٨- روى الطبرسي أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليه السلام أنكم أهل بيت مغفور لكم فغضب عليه السلام وقال أن الله تعالى يقول يا نساء النبي مرتين من يأت منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين إلى قوله نؤتها أجرها مرتين ثم قال أنه يجري فينا كما أجرى في أزواج النبي صلى الله عليه وآله لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب[٣٧].

٩- روى الباقر عليه السلام انه قيل لعلي بن الحسين يا ابن رسول الله كيف يعاتب الله هؤلاء الأخلاف على قبائح أسلافهم وهو سبحانه يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فقال عليه السلام إن القرآن نزل بلغة العرب فهو يخاطب أهل اللسان فإنك ترى الرجل التميمي يقول أغرنا على قوم كذا وإنما غار عليهم ويقول العربي نحن فعلنا بنبي فلان كذا ونحن سبينا آل فلان ونحن خرجنا البلد الكذائي ولا يريد أنهم باشروا ذلك بأنفسهم وإنما يريد هؤلاء بالافتخار إن قومهم فعلوا كذا وهكذا قول الله عزّ وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم وتوبيخ عذل لهؤلاء الموجودين لان هؤلاء الأخلاف رضوا بفعل أسلافهم ومصوبون لهم فجاز إن يقول أنتم فعلتم كذا أي أنكم رضيتم بقبيح أفعالهم.

١٠- جيء إليه برجل يزعم أنه قاتل أبيه وقد اعترف به ووجب عليه القصاص فسأله علي بن الحسين عليه السلام العفو ليعظم ثوابه فلم تطب نفس ابن المقتول بالعفو فقال عليه السلام إن كان لهذا القاتل عليك حق فهب له هذه الجناية واغفر له ذنبه فقال يا ابن رسول الله له علي حق لم يبلغ العفو عن قتل أبي فقال عليه السلام فماذا تريد منه قال أريد القود فإن أراد المصالحة صالحته وتركت القود لأجل حقه فقال عليه السلام ما حقه عليك قال أنه علمني توحيد الله ونبوة رسوله وإمامة علي والائمة عليهم السلام فقال السجاد عليه السلام ألم تر أن

هذا ليفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة أن قتلوا فإنه لا يفي بدمائهم شيء.

١١- كان صلوات الله عليه يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصتهم فلما بلغ آخرها قال إن الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك فكيف عند الله عزّ وجل حال من قتل أولاد رسول الله وهتك حريمه إن الله وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف عذاب المسخ فقيل له يا بن رسول الله فإنا قد سمعنا هذا الحديث فقال لنا بعض النصاب إن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم عند الله من صيد السمك أفلا غضب الله على قاتليه كما غضب على صائدي السمك فقال عليه السلام: قل لهم معاصي إبليس أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فاهلك الله من شاء منهم كقوم نوح وفرعون ولم يهلك إبليس وهو أولى بالهلاك فما باله سبحانه وتعالى أهلك الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرمات أما كان ربنا سبحانه حكيماً في تدبيره أهلك هؤلاء بحكمته واستبقى فكذلك هؤلاء الصائدون يوم السبت والقاتلون الحسين عليه السلام يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

١٢- حديث ثابت البناني قال كنت حاجا مع جماعة من عباد البصرة فيهم أيوب السجستاني وصالح المري وعبتة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار فلما دخلنا مكة وجدنا أهلها في شدة من قلة الماء ففزعوا إلينا يطلبون الاستسقاء فأتينا الكعبة وطفنا بها وتضرعنا إلى الله تعالى فلم يستجب لنا وبيننا نحن على هذا إذ أقبل فتى قد كربته أحزانه فقال لنا: أما فيكم أحد يحبه الرحمن. قلنا له: علينا الدعاء وعليه الإجابة. فقال: لو كان فيكم من يحبه لا جابه ثم أتى الكعبة وخرسا جداً وسمعناه يقول في سجوده سيدي بحبك لي إلى سقيتهم الغيث فما استتم كلامه حتى هطلت السماء كأفواه القرب فقلنا يا فتى من أين علمت أنه يحبك فقال لو لم يحبني لمن يستزرني فلما استزارني علمت أنه يحبني فسألته بحبه لي فأجابني ثم أنشأ:

من عرف الرب فلم تغنه ... معرفة الرب فذاك الشقي

ما ضر في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعز كل العز للمتقي[٣٨]

ب. اجوبته.

١- سئل عليه السلام عن العصبية فأجاب:

العصبية هي التي يأثم عليها صاحبها فيرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن العصبية أن يعين قومه على الظلم[٣٩].

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٤٠].

وقال الرسول الأكرم: (لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أسود وأبيض إلا بالتقوى) فالتقوى في الإسلام هي الميزان فقط.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر قبل أن يتجه والياً على مصر: (... فإن لم يكونوا إخوة لك في الدين فهم أسوة لك في الخلق).

والإمام زين العابدين هو حفيد أمير المؤمنين سار على خطى أبيه وجده عليهما السلام، فقد رفض العصبية لأنها تفرق بين الناس وتوهن العلاقات الاجتماعية في المجتمع الواحد.

أما العصبية لقومه عندما يعينهم على الظلم فيبعدهم عنه ويمنعهم ليكونوا من الظالمين. لكن إذا أحبهم فهذا ليس من العصبية في شيء لأن بالمحبة تعمر الأوطان ويسعد بنو الإنسان ويعيش كل فرد وجماعة بسلم وأمان.

٢- وسئل عليه السلام: أي الأعمال افضل عند الله تعالى؟ فقال عليه السلام: ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك شعباً كثيرة وإن للمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر، وهو معصية إبليس حتى أبى واستكبر وكان من الكافرين.

والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة،

فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا بلاغ ودنيا ملعونة(٤١).

والمراد من حب الدنيا الانغماس فيها والتلهي بملذاتها عن عبادة الله تعالى؛ علماً أن فيها ما يحصل به مرضاة الله عز وجل ويبلغ به إلى الآخرة وتدفع به الضرورة والكفاف لكل من عمل عملاً متقناً صالحاً يفيد نفسه ويفيد الآخرين.

والمراد من لعن الدنيا عندما تبعد الإنسان عن نيل السعادة وكسب الرحمات الإلهية.

وما أكثر الذين يحبون الدنيا في أيامنا هذه فانغمسوا بملذاتها ونسوا نعم الله، وجمعوا المال وبنوا الدور والقصور وعاشوا ليومهم فإذا أتت ساعتهم ندموا وتحسروا، ولات ساعة مندم.

٣- الأخذ بالجوهر وليس بحسن المنظر:

سئل عن ذلك عليه السلام فأجاب: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتمادى في منطقة وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعب نيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من يتأبى عن الحرام وإن كثر ويحمل على نفسه شوهاء قبيحة فيأتي فيها محرماً.

فإذا رأيتموه كذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا عقدة عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أيكون هواه على عقله أم يكون عقله على هواه وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها فإن في الناس من يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم! فحسبه جهنم وبئس المهاد فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ويمد به بعد طلبه لما لا يقدر في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي ما فات من دينه إذا

سلمت له الرياسة التي شقي من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

بعد أن حذرنا عليه السلام من هذا النوع من الرجال الذين أحبوا الرياسة الباطلة وأخذتهم العزة بالإثم فغضب الله عليهم ولعنهم دعانا لنقتدي بالرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله فقال: ولكن الرجل كل الرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولة في قضاء الله يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد مع العز في الباطل ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد وإن كثيراً ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى العذاب.

٤- وسئل عليه السلام عن يوم القيامة فقال:

(إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، وجمع ما خلق في صعيد واحد، ثم نزلت ملائكة السماء الدنيا وأحاطت بهم صفاً، وضرب حولهم سرادق من النار، ثم نزلت ملائكة السماء الثانية فأحاطوا بالسرادق، ثم ضرب حولهم سرادق من نار، ثم نزلت ملائكة السماء الثالثة فأحاطوا بالسرادق، ثم ضرب حولهم سرادق من نار، حتى عد ملائكة سبع سماوات وسبع سرادقات، وصعق الرجل فلما أفاق قيل له: يا بن رسول الله فأين علي وشيعته؟.

قال: على كثبان المسك يؤتون بالطعام والشراب، لا يحزنهم ذلك[٤٢].

ولما بين عليه السلام أهوال يوم القيامة والقصاص من الظالم للمظلوم قام رجل وقال: يا بن رسول الله إذا كان للمؤمن على الكافر مظلمة فأي شيء يأخذ منه وهو من أهل النار؟ فقال عليه السلام: يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره.

قال: فإن كان للمسلم على المسلم مظلمة فما يأخذ منه؟ فقال عليه السلام: يؤخذ من حسنات الظالم ويدفع للمظلوم وإن لم يكن حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم على الظالم[٤٣].

جواب مسدد كامل شامل لا يشوبه شائبة يعبر تعبيراً سليماً عن رأي قائله، والإمام السجاد كعادته في كل أجوبته، ولا غرو فهو إمام معصوم من جامعة أهل البيت مؤهل

بعلوم خاصة علوية تزود بها من أبيه وجديه عليهم السلام، وهكذا كان شأن الأئمة المعصومين الذين أتوا بعده. لقد أوجدهم الله جل شأنه رحمة للعالمين وقيضهم أعلاماً يقتدى بهم ويقتفى أثرهم، فبهم قامت الدعوة الإسلامية وبهم تطورت الحياة الاجتماعية.

٥- سئل عليه السلام: لم أوتم النبي صلى الله عليه وآله من أبويه؟ فقال عليه السلام: لئلا يوجب عليه حق لمخلوق(٤٤).

وقيل له: ما أشد بغض قريش لأبيك؟ فقال عليه السلام: لأنه أورد أولهم النار، وألزم آخرهم العار(٤٥).

٦- وبعد وقعة كربلاء رجع عليه السلام إلى المدينة فوقف عليه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله فقال متشمتاً: من الغالب؟ قال عليه السلام: إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب(٤٦).

الدعاء:

إنّ الرائد في هذا الميدان والفارس في هذا النزال هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعرف بذلك بـ(زين العابدين) لفرط عبادته(٤٧).

متمثلاً ذلك في صحيفة قلّ الزمان أن يجود بمثلها، منهاج حياة متكامل لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلاّ أتى عليها معالجاً إيّاها بأفضل صورة. وقد كان لشخصية الإمام العظيمة أثرها الأكبر فيما تحدثه تلك الأدعية من التأثير في النفوس، والنفوذ إلى العقول، والسمو بالروح البشرية إلى العلا.وقد اشتملت أدعيته عليه السلام على نماذج حسية لمعطيات وجدانية تراءت بصور وأشكال كلامية ظهرت بمنتهى البلاغة والإحكام وبأفضل العبارات والكلمات، وحوت مقاصد فكرية وعلمية ودينية راقية جسّدت التصور الأبهى بين العبد وربّه والالتحام الأقوى بين المخلوق وخالقه شكراً له وعرفاناً بفضله وسؤالاً له من فيضه ومنّه وتأكيداً على الآصرة القوية بين الضعيف والقوي وبين السائل والمعطي ودليلاً على حسن التعبد والتوكل وإظهاراً للوحدانية المطلقة له عليه السلام واعترافاً بنقصان العبد وحقارته أمام جبروت الخالق وعظمته. وقد كان الدعاء وسيلة أولى في نهج الإمام السجاد عليه السلام على طول مسيرة حياته

الشريفة وسلاحاً متدرعاً به في ذلك العصر الذي عاشه.وتلك الظروف التي جعلت التقيّة أمراً محتّماً على الإمام السجاد عليه السلام، فلقد كان الظلم والاضطهاد على أوجّه؛ فمن ظلم يزيد إلى تعنت ابن زياد إلى الجور الطائش من الأمويين ولا ننسى الفتن الكثيرة التي نخرت بفقار العصر على النحو من فتنة ابن الزبير، مع انحراف أخلاقيّ واجتماعيّ، وكل هذا والإمام عليه السلام مراقب، فماذا عليه أن يفعل؟ وقد اتخذ أهل البيت عليهم السلام مناهجهم الإرشادية بما يتناسب والعصر الذي هم فيه، ومن هنا نجد تنوع مناهجهم بسبب ظروفهم، وإن كان الهدف واحداً، فنجد عصر الإمام السجاد عليه السلام عصراً مفحماً بويلات الأمويّين وتخاذل الناس، مع ابتعاد واسع عن الخط الإسلاميّ القويم، و(لقد كانت الظروف السياسية في زمن الإمام السجاد عليه السلام محكومة بالكبت والإرهاب، وكان النظام الأمويّ آنذاك متشدّداً غاية التشدّد مع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حتى أنّهم فرضوا على الإمام عليه السلام في فترة الإقامة الجبرية...، ولكنّه لم يقعد عن الجهاد...، فاتخذ من الدعاء والبكاء وسيلة لخدمة الإسلام...، وكانت أدعية الإمام السجاد عليه السلام بالإضافة إلى ما فيها من جنبة المناجاة مع الخالق التضرّع إليه مدرسة تحوي المعارف والعقائد الإسلامية وفلسفة الحياة والفضائل الأخلاقية وما إلى ذلك من المواضيع التي حاول الأمويّون بثّ ما يضادها في المجتمع الإسلامي)[٤٨].

وحيث إنّ الدعاء: (هو الوسيلة بين العبد وخالقه واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت فهذا يعني أنّ التماسه يجنب الإنسان الوقوع في الزلل).

لأنّ من تعلق بخالقه أمِن الوقوع، ولاسيّما أنّ (الدّعوات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام مشتملة على أعظم المعارف الربوبية التي حرص الأئمة عليهم السلام على بيانها بأسهل بيان؛ لذا كانت ناجعة في هداية المجتمع وبنائه). بل تكون (من أهم الأساليب التربويّة والوسائل التبليغيّة التي تغيّر المسلمين وتربطهم بالله تعالى وتركز الروحية في نفوسهم.

ولقد اتبع الإمام زين العابدين عليه السلام أسلوب الدعاء فألّف بذلك الصحيفة السجادية، والتي سمّيت بـ(زبور آل محمد)، وقد ضمّت بين دفتيها أدعية مختلفة الأغراض... تطرقت إلى تربية المسلمين)[٤٩].

مصحّحة للسلوك المتدنّي الذي كان شائعاً في عصره، فـ(استطاع أنْ ينشر من خلال

الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلاميّ، يسهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات...، وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم)[٥٠].

ومع أنّها كانت لعصرها إلاّ أنّ فائدتها الدينيّة والاجتماعية انبسطت لتشمل كل العصور والنص البليغ هو الذي لا تقيدّه خارطة الزمن وربّما لم يكشف الغبار عن فضل الدعاء حقيقة؛ لأنّ فضله عامّ حتى قال الإمام الصادق عليه السلام: ((عليك بالدّعاء فإنّه شفاء من كل داء))[٥١].

وإطلاق شفائه يوحي بمكانته الفائقة في تحقيق الصّلاح على جميع المستويات بما فيها الاجتماعية والصحية والنفسية، ولكن كون الدعاء (من حيث المظهر الداخليّ يقوم على عنصر وجدانيّ يتصاعد به الدّاعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه)[٥٢].

نتيجة البحث:

إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد قام بأعمال سياسية كبيرة في سبيل الأهداف الكبيرة التي من أجلها شرّع الدين.وإذا لاحظنا صعوبة المهمّة التي قام بها في الظروف الحرجة والخطيرة التي عايشها، وعلى طول المدّة حتّى وفاته عليه السلام، عرفنا عظمة تلك الجهود التي بذلها في خصوص هذا المجال وحده.وهو عليه السلام وإن لم يمدّ يداً إلى السلاح الحديديّ إلاّ أنّه التزم النضال بكلّ الأسلحة الأخرى التي لا تقلّ أهميّة وخطورة عن السلاح الحديدي.

فشَهَرَ سلاحَ اللسان بالخطب والمواعظ، وسلاحَ العلم بالتثقيف والإرشاد، وسلاحَ الأخلاق بالتربية والتوجيه، وسلاحَ الاقتصاد بالإعانات والإنفاق، وسلاحَ العدالة بالإعتاق، وسلاحَ الحضارة بالعرفان.حتّى وقف سدّاً منيعاً في وجه أخطر عمليّة تحريف تهدف إبادة الإسلام من جذوره، في الحكم الأمويّ الجاهليّ.

الملخص:

تعرّض اهل البيت عليهم السلام طيلة حياتهم من قبل الاعداء إلي شتي انواع الظلم والمكايد والتعسف.فراح اعدائهم يحكيون الخدع السياسية و الثقافية لتشويه سمعة الاسلام، فقد سادت الحياة السياسية في عصر أهل البيت عليهم السلام ألوان من القلق والاضطراب، حيث خيم الذعر والخوف على الناس وفقدوا جميع أشكال الأمن والاستقرار، مما سبب تفكك

المجتمع وشيوع الأزمات السياسية الحادة، واندلاع الثورات المتلاحقة.

وكان الهدف الرئيسي الذي تسعي إليه الفرق المنحرفة هو افراغ مدرسة اهل البيت عليهم السلام من الكفاءات العلمية، والشخصيات الرِّسالية والعناصر الثقافية، اضافة إلي سياسة التجهيل العامة التي تبنتها الفرق المنحرفة في المجتمع الاسلامي ومن هذا المنطلق رسم "الإمام علي بن الحسين بن علي عليه السلام، معالم مدرسته الاسلامية ونهجه المقاوم لمواجهة الفرق المنحرفة استناداً بالقرآن الكريم و أدعية عالية المضامين تستند كلها لوحي القرآن الحكيم وتعتبر بحق موسوعة معرفية جمّة لجميع المعارف الالهية، ابتداءً من معرفة الله سبحانه وتعالى، وانتهاءً بتكريس الصفات الرسالية عند الإنسان المسلم في التوحيد والعدالة والمساواة. فهذه الدراسة عبرالمنهج التوصيفي التاريخي بصدد تبين دور الامام السجاد في مواجهة الفرق المنحرفة استناداً بالقرآن الكريم والادعية المباركة.

الكلمات الدليلة: الإمام السجاد عليه السلام، القرآن الكريم، الأدعية، الفرق المنحرفة، الخدع السياسية والثقافية.

هوامش البحث

(١) ابن عماد، عبدالحي بن احمد، شذرات الذهب،ج ١،ص١٠٤
(٢) زمخشري، محمود بن عمر، ربيع الابرار،ج١، ص٣٣٤،٧٣
(٣) الشبراوي الشافعي، عبدالله، الاتحاف بحب الاشراف،ص١٤٣
(٤) يعقوبي، احمد بن اسحاق، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٠٣،٣٠٥
(٥) المصدرنفسه
(٦) ابن جوزي، يوسف، تذكرة الخواص،ص٢٩١
(٧) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب، ج٤، ص١٨٠، ١٨١
(٨) المصدرنفسه
(٩) المسعودي، علي بن حسين، مروج الذهب، ج٣، ص٩٣
(١٠) السيوطي، عبدالرحمن،تاريخ الخلفاء، ص٢٢٣
(١١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار،ج٤٦، ص١٥٣
(١٢) القرشي، باقر، حياة الامام السجاد عليه السلام دراسة وتحليل، ص٦٦٥

(١٣) البرقي، احمد بن محمد، المحاسن، ص٢٢١
(١٤) البحراني، هاشم بن سليمان، تفسير البرهان،ج٣،ص١٥٦
(١٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٧
(١٦) المصدر نفسه
(١٧) الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج،ص٣١٢،٣١٩
(١٨) المصدرنفسه،ص٣١٧
(١٩) ابن عساكر، علي بن حسن، تاريخ دمشق، ج١٧،ص٢١
(٢٠) الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر ،ص٢٣٦،٢٣٧
(٢١) ابن سعيد، يحيي بن احمد، نزهة الناظر، ص٤٥
(٢٢) ابن بابويه، محمد بن علي، اكمال الدين، ص٣٣٤
(٢٣) ابن عساكر، علي بن حسن، تاريخ دمشق، ج١٧، ص٢١
(٢٤) الحسيني الجلالي، سيد محمدرضا، جهاد الامام السجادعليه السلام، ص١٥٤.
(٢٥) المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال،ج٢،ص٢٥١
(٢٦) المصدر نفسه
(٢٧) ابن شعبه، حسن بن علي، تحف العقول،ص٣٣٢
(٢٨) العاملي، محسن، بلاغة علي بن الحسينعليه السلام من الاثني عشرية، ص٢٢٤
(٢٩) ابن عساكر، علي بن حسن، تاريخ دمشق،ج١٧،ص١٢٨
(٣٠) ابن سعيد، يحيي بن احمد، نزهة الناظر،ص٣٣
(٣١) علم الهدي، سيد مرتضي، الفصول المختاره،ج١،ص٧
(٣٢) ابن سعيد، يحيي بن احمد، نزهة الناظر،ص٣٣
(٣٣) الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج،ص١٧١
(٣٤) الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي،ج١،ص٣٠
(٣٥) الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضي، الوافي،ج١،ص٨١
(٣٦) البحراني، هاشم بن سليمان، تفسير البرهان، ج١، ص٨٤٣
(٣٧) المصدر نفسه، ج١، ص٨٤٣
(٣٨) الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج، ص١٧٠،١٧٢
(٣٩) الاربلي، علي بن عيسي، كشف الغمة، ص٢٠٧
(٤٠) الحجرات،١٠
(٤١) الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي،ج١،ص٣٠٤
(٤٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار،ج٣،ص٢٤٢
(٤٣) الموسوي المقرم،عبدالرزاق، حياة زين العابدين،ص١٤٥

(٤٤) الاربلي، علي بن عيسي، كشف الغمة،ص٢٠٧
(٤٥) امين، حسن، اعيان الشيعة،ج٤،ص٥٢٧
(٤٦) الموسوي المقرم،عبدالرزاق، حياة زين العابدين،ص٣٧٠
(٤٧) ابن عماد، عبدالحي بن احمد، شذرات الذهب،ج ١،ص١٠٤
(٤٨) مرتضي، مطهري، من حياة الائمة الاطهار،ص١٢٨
(٤٩) المصدر نفسه
(٥٠) عسيلي، غالب،الشرح لصحيفة السجادية الكاملة، ص١٠
(٥١) الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، ج٢،ص٢٥٨
(٥٢) البستاني، محمود، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي، ص١٥٠.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص، الشريف الرضي، قم، ايران، ١٣٧٦ش.
٢. ابن سعيد، يحيي بن احمد، نزهة الناظر، دار الاداب، نجف الاشرف، العراق، بدون تاريخ.
٣. ابن شعبه،حسن بن علي، تحف العقول، آل علي عليهم السلام، قم، ايران، ١٣٨٢ش
٤. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب، علامة، قم، ايران، بدون تاريخ.
٥. ابن عساكر، علي بن حسن، تاريخ دمشق، دارالفكر، بيروت، ١٤١٥هـ
٦. ابن عماد، عبدالحي بن احمد، شذرات الذهب، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ.
٧. ابن‌بابويه، محمد بن علي، اكمال الدين، مكتبة الاسلامية، ايران،١٣٧٧ش.
٨. الاربلي، علي بن عيسي، كشف الغمة، الشريف الرضي، قم، ايران، بدون تاريخ.
٩. امين، حسن، اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ
١٠. البحراني، هاشم بن سليمان، تفسير البرهان، مؤسسة البعثة، قم، ايران، بدون تاريخ
١١. البرقي، احمد بن محمد، المحاسن، دار الكتب الاسلامية، قم، ايران، بدون تاريخ
١٢. البستاني، محمود، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي، فقه، ايران، ١٣٨٢ش.

١٣. الحسيني الجلالي، سيد محمدرضا،جهاد الامام السجادعليه السلام، مكتبة البحوث الإسلامي مشهد، ايران،١٣٩٣ش.

١٤. الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الاثر،بيدار، قم، ايران،١٤٠١هـ.

١٥. الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الابرار، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،١٤١٢هـ.

١٦. السيوطي، عبدالرحمن، تاريخ الخلفاء، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ

١٧. الشبراوي الشافعي، عبدالله، الاتحاف بحب الاشراف،دار الذخائر للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

١٨. الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج، نشر المرتضي، مشهد المقدس، ايران، بدون تاريخ

١٩. العاملي، محسن، بلاغة علي بن الحسينعليه السلام من الاثني عشرية،دار الصفوة، بيروت، بدون تاريخ

٢٠. عسيلي، غالب،الشرح لصحيفة السجادية الكاملة، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٢هـ

٢١. علم الهدي، سيد مرتضي، الفصول المختاره،المؤتمر العالمي لالفية الشيخ مفيد، قم، ايران،بدون تاريخ.

٢٢. الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضي، الوافي،مكتبة الامام امير المؤمنين عليعليه السلام اصفهان، ايران،١٤٠٦هـ.

٢٣. القرشي، باقر، حياة الامام السجادعليه السلام دراسة وتحليل، دار اتلاضواء بيروت،١٤٠٩هـ

٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، المكتبة العلمية الاسلامية، ايران،١٣٦٩ش.

٢٥. المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم،ايران،١٣٨٩ش

٢٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ

٢٧. مرتضي، مطهري، من حياة الائمة الاطهار، الدار الاسلامية، بيروت،١٤٢٩هـ.

٢٨. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، مؤسسة دار الهجرة، قم، ايران، ١٤٠٩هـ.

٢٩. الموسوي المقرم،عبدالرزاق، حياة زين العابدين،مكتبة الحيدرية، نجف الاشرف،١٣٨٢ش

٣٠. اليعقوبي، احمد بن اسحاق، تاريخ اليعقوبي، دارصادر بيروت، بدون تاريخ